مثل بقية التجمعات والكيانات الثقافية والفنية انبرى المسرحيون العراقيون ليؤكدوا ويفعّلوا ادوارهم في حياة ما بعد الدكتاتورية البغيضة ، وذلك عبر عدة انشطة واعمال مسرحية تناولت في مضامينها الكثير من القضايا والمواقف الاجتماعية والسياسية ، التي لم يكن بالامكان طرحها خلال حكم النظام السابق ، بعد ان عانوا حياة مثبتة تحت عين الرقيب ، فلا هم ولا أعمالهم استطاعوا الخلاص من تلك العين الخبيثة البشعة ، ما جعل اغلبهم يتخذون سبلا ملتوية لقول ما يمكن قوله خلال اعمال غلب عليها مبدأ التأويل والتشفير تحت تسمية شاع حضورها في المسرح العراقي من خلال فاعلية (التجريب) ، غير ان مسرح التجريب ، وبحسب ما يراه المسرحيون انفسهم قد فهم خطأ الامر الذي جعل بعض الاعمال المسرحية لا تتعدى ان تكون مجرد تهويمات وكولاجات شكلية لا حياة فيها ولا غاية مفهومة من الممكن ان تحال اليها او تؤول عنها.

في دار الشؤون الثقافية العامة

نـــدوة للتباحـــث حـــول واقـــع المسرح العراقـــي

متابعة/ ماجد موجد

اما في السنتين الماضيتين وبعد ان استنشق العراقيون انفاس الحرية، ذهبت مجموعات وفرق مسرحية لتعبر عن تلك الحرية، الا انه لم يكن تعبيرا في صالح المسرح العراقي، فما قدم من اعمال جاء اغلبها ليكرس افكارا وكيانات سياسية ودينية بعينها.
ولاجل ذلك وغيره من المشكلات التي تمس الروابط والاواصر وما يجب ان تكون عليه بين الفنانين والمسرحيين، عقدت رابطة النقاد المسرحيين وبالتعاون مع دار الشؤون الثقافية العامة المضيفة ندوة نقاشية حول واقع المسرح العراقي وكيفية رفع العوائق التي تقف امام نهوضه واستعادة عافيته في ظل عراق الحرية الجديد.

الابتعاد عن تسفيه غاية المسرح واهدافه

ابتدأت الندوة التي حضرها جمع من الفنانين المسرحيين والادباء والمثقفين بكلمة لمقدمها القاص شوقي كريم اكد فيها . حسب وصفه . على اهمية التخلص من التخريب المتعمد الذي لحق بالمسرح العراقي من قبل بعض المحسوبين عليه الذين عملوا على تسفيه هذا الفن الاصيل اما باعمال تجارية رخيصة وهابطة او باعمال مليئة بالتهويمات الغامضة تجنبت نبض المجتمع العراقي وذوقه الفني وحاجته الثقافية واستعرضت ثقافات دخيلة بأسم التجريب، كما اشار ايضا الى المعاناة التي كانت تلف حياة الفنانين المسرحيين وافتقارهم الى الدعم المادي والحرية الفكرية، ولعل تلك المعاناة كانت وراء اخفاق المسرحيين للاعتلاء بفنهم الى الغاية الجمالية والثقافية التي من اجلها وجد المسرح، وهو الامر الذي جعل جمهورهم يحجم عن مواصلتهم، والتقاطع مع عروضهم.

المتعة من اهم مرتكزات العمل المسرحي

اتفق اول المتحدثين في الندوة وهو الدكتور عقيل مهدي مع ما طرحه القاص شوقي كريم، كما تطرق لعدة اسس من الممكن ان يرتفع عليها شأن المسرح العراقي الجديد من اجل ان يعود الى جمهوره العتيد، ومن ضمنها عدم الخوض بشكل مفرط وغير دقيق في ما يسمى بمسرح (التجريب) على حساب فنية العمل المسرحي واهدافه التي تعد المتعة من اهم مرتكزاتها، وقال: لابد لمشروعنا القادم من ان يحسن التعامل مع مرجعيات الخبرة المسرحية التي تحققت في ذاكرتنا الوطنية، وهذا ما يتيح لنا ربط الموروث بحركة الواقع وتناقضاته وتعقيداته المركبة، ويقتضي الامر مغادرة ازمنة النرجسية الفردية خصوصا حين تتحول الى شيء من الغرور فيحرمنا من فرصة التحاور، او تبادل الاراء الصائبة فنيا، والبديل عن ذلك هو ابتكار نماذج معرفية جديدة فعلا، والكف عن الدوران تحت مسميات التجريب التي ابعدتنا عن انتاج عروض فنية راسخة.
وفي معرض حديثه اشار الدكتور عقيل مهدي الى ضرورة تحديد الخبرات والتفريق بين المحترفين والهواة فقال: لقد تآكلت الحدود بين المخرج المبدع صاحب الرؤية والرسالة الاجتماعية المسؤولة وبين سواه، وكذلك ينطبق الحال بين الكاتب الخلاق والهواة الذين مازالوا في بداية الدرب، اذ تنقصهم الخبرة والدراية الدرامية والمسرحية المطلوبة.
ومن ضمن القضايا الاخرى، اكد على ضرورة النقد المسرحي وطرح فكرة تعضيد (مجلة نقدية) رصينة تحفظ المنجزات الروحية للفنان المسرحي وتروج الافكار الثمينة بين صفوف الناس، وتهميش ذلك السقيم والمتهافت الذي تشيعه الوسائط المرئية والمسموعة من قبح، حسب وصفه، كما اشار ايضا الى دور المؤسسات الحكومية باستقدام مخرجين عالميين لتدريب الكوادر المسرحية وهو أمر معمول به في معظم الدول العربية وذلك على غرار ما تقوم به المؤسسات الرياضية باستقدام مدربين لانديتها.

اعادة النظر في عمل المؤسسة

وكان المتحدث الثاني الدكتور رياض موسى سكران الذي قال بدءا: ان ما افسد المسرح العراقي وشوه اهدافه وقطع اواصر العلاقة مع جمهوره ثلاثة انواع من التوجهات التي اتخذتها الاعمال المسرحية وهي (التجاري) و (الرسمي) و (التجريب)، واضاف: ان اهم الاجراءات التي من الممكن ان تخلص المسرح العراقي من سباته، هي اولا اعادة النظر في عمل مؤسسة السينما والمسرح ووضع آلية جديدة للتعامل بين المسرحيين والمؤسسة تكفل توفير كافة المطاليب التي من شأنها الارتقاء بالعمل المسرحي العراقي، وان يترك الشباب ليعبروا عن تجاربهم مع الحرص على دعمهم ماديا وتوفير المناخات المناسبة لانجاح اعمالهم، وقد أشاد بتجربة منتدى المسرح ودعمه الكبير لتجارب الشباب التي حققت حضورا مؤثرا في الداخل والخارج.
كما اشار الى تطوير المنهج الثقافي للمسرحيين من خلال اقامة المهرجانات المسرحية المركزية بعيدا عن كل المهيمنات والايديولوجيات، وكذلك طبع الكتب المتخصصة والنصوص المسرحية والمجلات، وايضا اقامة ورش عمل مسرحية من الكوادر ذات الخبرة العالية والدربة في شؤون المسرح وعوالمه واشراك الشباب في الدورات خارج العراق وداخله بعيدا عن المحسوبية والابوية، كما هو حاصل الآن وكما كان يحصل مع الايفادات، لابد من ان يعمل القائمون على مؤسسات المسرح بعيدا عن الخفاء والغرف المظلمة.

ماذا يريد المسرح منا؟

اما المتحدث الآخر الذي وصفه القاص شوقي كريم بالمشاكس فهو الدكتور حسين علي هارف الذي قلب معادلة السؤال المطروح في بداية الندوة وهو ماذا نريد من المسرح حيث قال: يجب ان يكون السؤال ماذا يريد المسرح منا، وقد لخص هارف مطالب المسرح المفترضة بعدة نقاط نذكر منها؛ اعادة تأهيل المسارح من خلال دعم الدولة لهذا القطاع الحيوي والمهم في الحياة، تشكيل مجلس استشاري خارج المؤسسة يتكون من خبراء المسرح واساتذته، ويعد هذا المجلس صمام امان لجميع الشؤون التي تخص المسرح داخل المؤسسة وخارجها، الابتعاد عن حرب الايديولوجيات داخل مؤسسة المسرح او على خشبته، وقد شاهدنا مؤخرا بعض الاعمال قد دعمت توجهات كيانات سياسية ودينية بعينها، وهذا امر يبتعد كثيرا عن غاية المسرح وهدفه الانساني والجمالي، خلق مسرح شعبي يعي مسؤوليته ويبتعد عن الشخصيات السفيهة والالفاظ النابية، بل النظر الى هموم الناس من زاوية معقولة ورصينة وموضوعية، خلق جمهور مسرح، وليس متفرجين من خلال تشجيع طلبة الكليات والتعليميين والتدريسيين والمثقفين، نريد من المسرح ان يروج للحب، فلسفة ووجودا وفكرا، لان ذلك اساس بقاء الحياة وحيويتها، وقبل ذلك ان يكون الحب الاداة الوحيدة في بناء العلاقة بين المسرحيين والابتعاد عن لغة المصادرات المجانية للآخرين او لنتاجهم.

تكريس قيم الخير والحب

ثم جاء دور الفنانة عواطف نعيم التي دعمت رأي الدكتور حسين هارف في قلب السؤال المذكور فتحدثت بألم عن واقع المسرح العراقي، سيما فيما يسود المسرحيين من علاقات متوترة لا غاية منها سوى الاساءة لبعضهم البعض وقالت: المسرح يريد منا اولا حباً كبيراً واواصر متينة فلا يمكن ان يكتمل امر من امور الحياة دون ان يكون هناك توافق ووشائج طيبة بين المشتركين في عمل او مشروع، بعيدا عن التعصب والانانية.
المسرح اصلا وجد لاشاعة وتكريس قيم الخير والحب والجمال، فكيف بالامكان تمثيل هذه المفاهيم على خشبة المسرح دون ان تكون لها جذور وحقيقة وايمان في داخل روح الممثل وفي سلوكه وحياته.
وحول حاجة المسرح للمكملات الاخرى للنهوض به قالت عواطف في الاخير: ان المسرح اليوم بحاجة الى دعم مادي كبير، فالدعم المادي هو الذي يحافظ على كرامة وكياسة ابطاله وانجاح مكوناته، فلا يمكن ان يكون هناك مسرح رصين ومتكامل دون ان يكون له رافد مادي مستقل يكفل حاجاته وحاجات الفنانين واظن ان هذا المطلب ملح ومشروع وان التجريب مطلوب، ولكن ليس ذلك الذي يجعل العمل المسرحي محشوا بالغموض الذي لا يهدف الى شيء. قد تكون مثل تلك العروض معذورة كونها تحاول الهروب من المباشرة في طرح الافكار في الزمن السابق، ولكن الان لابد من وجود اعمال مسرحية اصيلة تعبر عن خصوصية العراق وبيئته.
واضافت: قد تكون الرقابة مازالت قائمة ولكنها اخذت بعدا آخر فقد عرضت اعمال مسرحية في السنتين الماضيتين لتكرس رغبة ايديولوجيات معينة، وهذا يعني ان الرقيب والهيمنة الفكرية مازالت موجودة وهذا يتقاطع مع غاية المسرح واهدافه وسر حيويته وبقائه فمن اهداف المسرح هو طرح الاسئلة التي تقلق الثوابت في حياة الانسان.

التجريب ضروري جدا في المسرح

ثم فتح باب الحوار، فكان اول المتحدثين الدكتور هيثم عبد الرزاق اذ قال: ان المسرح هو دستور حسي للمجتمعات، او بمعنى اخر هو (دسترة) المجتمع حسيا، ولذلك عندما نأخذ ابطال المسرح التجريدي على مر التأريخ لم نجد ملمحا واضحا للبطل، او الاحساس به، وهذه اشارة الى تضامنه مع مسرح التجريب.
واضاف: ان مسرحية (عائلة عراقية جدا) خصت حياة الناس اليوم وامس وغدا، الا ان طروحاتي في فهم المجتمع العراقي قد تغيرت بعد عملية الانتخابات، فقد عد هذا المجتمع الذي عاش سنين الخوف والإذلال بطلا دراميا كبيرا في الفن العراقي، وما اريد قوله ان التجريب ضروري جدا للحياة لأن الحياة اصلا تتحول وتتغير باستمرار، ولنا في الشارع العراقي مثلا وحجة لا ترد. وفيما يخص المشاركة في المهرجانات، التي ادينت من قبل بعض المتحدثين قال د. هيثم: اتمنى ان اذهب آلاف المرات للمشاركة في المهرجانات لانها تمثل تطورا في وعي الفنان وعينه الفنية وطروحاته وآليات اشتغاله التي لابد من ان تكون متجددة، ثم ان المسرح يشكل في غايته ومكوناته آليات ومكونات الديمقراطية فهناك تعدد اصوات وتعدد ملامح ووجهات وصراعات وتوافقات، ولذلك ارى ان التنوع الذي يجب ان يكون عليه المسرح وهو ما كائن عليه الآن هو المثال الحقيقي لمفهوم الديمقراطية.

الدعم المادي للثقافة لا يساوي شيئا

ثم تحدث الاستاذ جعفر ياسين مدير عام دار الشؤون الثقافية العامة الذي اشاد بما قاله المتحدثون وبتجربة المسرح العراقي وتأريخه كما تضامن مع ما قيل بخصوص الرقيب الجديد الذي يحمل خطورة اكبر لانه يتدخل بأطار ايديولوجي قد يتبناه المسرحيون او بعض المسرحيين لتكريس اهداف وغايات لاتخدم غايات المسرح وفي الوقت نفسه تسيء لنهضة المسرح الجديد التي لابد من ان تكون متضامنة ومتوافقة مع أهداف وتطلعات العراقيين وهم يشيدون نهج حريتهم وديمقراطيتهم الجديد. وحول الدعم المادي للمسرحيين قال السيد جعفر ياسين: إن الثقافة بشكل عام لاتزال تعاني من قلة الدعم، وإذا كانت ميزانية وزارة الثقافة مليون دولار، فانا اعلم تماما إن حماية أربعة اشخاص في حكومتنا الجديدة تتطلب ملايين الدولارات شهريا. وقال: إن الثقافة العراقية بحاجة الى دعم كبير، فقد عاش المثقفون حياة بائسة يلفها الحرمان والعوز والقمع بمن فيهم المسرحيون. وآن الأوان لإنقاذ ثقافتنا العراقية الرصينة المعروفة بطاقاتها الإبداعية المتفردة على مر العصور..
وفي نهاية الندوة اشاد السيد شوقي كريم بما قدمه المتحدثون وشكر الحاضرين، كما أشار مندهشا إلى غياب دائرة السينما والمسرح على الرغم من ان القائمين على تهيئة هذه الندوة قد بعثوا بدعوة خاصة للدائرة.

اول الستارة

لكي لا يظل هذا التاريخ مبعثرا بين الرماد!

عدنان منشد

لا اظنني بحاجة الى تذكير القارئ بأهمية المحاولة الطموح التي بدأتها قبل خمسة اعوام بكتابة "حوليات المسرح العراقي" التي ضمت اضافة الى المقالات النقدية والانطباعات المسرحية ملاحق تسجل أهم الاحداث والكتب والاحصاءات والبيانات المسرحية، كأنني أعمل على خطى وشواغل زميلنا الراحل احمد فياض المفرجي، وان اختلف الاسلوب وتفارقت النتائج.
والحق، اني شعرت وأنا أعد هذه (الحوليات) بثقل العبء الذي تصديت للقيام به وحدي، وبخاصة الجانب التسجيلي والتوثيقي الذي استغرق مني وقتا وجهدا غير قليلين، ما كان أحراني بأن أوجهه لما هو اجدى وانفع، لو استقامت أمور "المركز العراقي للمسرح" أو قسم الاعلام في دائرة السينما والمسرح، ونهض اعضاء تينك المؤسستين بهذا الواجب الذي يدخل في صميم عملهما، وفي هذه الحالة يكفيني ويكفي غيري من رجال المسرح ونقاده، ان ينشروا ما كتبوه من مقالات عن عروض المسرح، تاركين جهد التسجيل والتوثيق للمؤسستين المذكورتين، بامكاناتهما الاقدر وموظفيهما العديدين.
اما وقد ضاع كل مخزون وذخائر هاتين المؤسستين، حال اشعال الحرائق في دائرة السينما والمسرح في الصالحية، بعد سقوط سلطة الطاغوت بيومين او ثلاثة من ربيع نيسان عام ٢٠٠٣، فأنني أتمنى لو تبنت وزارة الثقافة بالتعاون مع النقاد المختصين والهيئات المعنية بهذه الوزارة مسؤولية البحث عن ضياع ارشيف مكتنز في المسرح العراقي اولا، فضلا عن بقية فنوننا كالسينما والفنون التشكيلية والموسيقى والفنون الشعبية والازياء حتى نسجل للاجيال القادمة حجم ابداعاتنا الفنية في مختلف المجالات، وما طرأ عليها من تطور وما أصابها من ضمور، فتسهل عليهم مهمتهم في دراستها في مختلف مراحلها، والمقارنة بين كل مرحلة وأخرى، سعيا نحو الجودة والارتقاء، ونفيا لعوامل التخلف والتأخر التي قد تعتور المسيرة بين الحنين والآخر.
المهمة ليست صعبة بالمرة، خصوصا في استدعاء فناننا الكبير يوسف العاني مدير المركز العراقي للمسرح ومن رافقه من قادة الفرق المسرحية امثال جعفر السعدي واسعد عبد الرزاق وسعدون العبيدي ومحسن العزاوي وعادل كوركيس، فضلا عن دعوة القائمين على ارشيف المسرح العراقي السابق في دائرة السينما والمسرح، ومنهم عبد العليم البناء وعقيل ابراهيم وعلي مزاحم عباس ومحمد مبارك، ومن كانوا يعملون بمعيتهم من جنود مجهولين، لكي لا يظل هذا التاريخ مبعثرا بين الرماد، أو بين دراسات ومقالات يصعب الوصول إليها او الرجوع إلى ما حوته من آراء ومعلومات.

ندوة موسعة في اتحاد الادباء

حول (ازمة المسرح العراقي)

يعقد الاتحاد العام للأدباء العراقيين الندوة الثقافية في ٢٥/ ٥/ ٢٠٠٥ لمناقشة (أزمة المسرح العراقي) وتشارك فيها نخبة مرموقة من الاساتذة والفنانين والنقاد الذين ارسوا قواعد فنية في الساحة المسرحية ولهم المشاركات والمساهمات الفاعلة في تركيز الاسس الصحيحة للمسرح العراقي وهم الاستاذ يوسف العاني د. صلاح القصب، سامي عبد الحميد، طه سالم، د. شفيق المهدي، جواد الشكرجي، د. هيثم عبد الرزاق، د. مرسل الزيدي، كاظم النصار، عزيز خيون، د. عقيل مهدي، د. عواطف نعيم، كريم شغيدل، د. حسين علي هارف، د. رياض موسى سكران، عدنان منشد، وشوقي كريم.